الموضوع السادس: الصفات المميزة للإنسان – طرق دراسة الانسان في الانثروبولوجيا الطبيعية

1

مكان الإنسان في الطبيعة

نظر الأنثروبولوجيون منذ زمن طويل للانسان من خلال الكائنات الأخرى وبحثوا في خصائصه مقرنة بها، فالتنوع والتباين بين المخلوقات المختلفة هو الذي قاد الدارسين لمراقبتها وتصنيفها والبحث في أصولها وتطورها.

وتصنيف الأحياء قديم ترجع أصوله إلى القرن الثامن عشر حيث يرجع أول تصنيف علمي للعالم لينوس Linnaeus (1758م) إذ قسم الكائنات إلى مملكة الحيوان ومملكة النبات ثم مملكة البكتيريا وجعل الإنسان في أعلى مملكة الحيوان. وتصنيف لينوس بسيط في أساسه حيث يبدأ بالنوع ثم الفصيلة ثم الأسرة ثم المرتبة ثم الطبقة ثم الشعبة وأخيراً المملكة. والإنسان عنده يقع ضمن شعبة الفقاريات التي يميزها العمود الفقري وانقسام الجسم إلى نصفين متشابهين في كل شيء، والعمود الفقري والرأس يشكلان الجهاز العصبي الذي يتحكم في الحواس والحركة.

والإنسان ككائن حي يشترك مع الحيوانات في خصائصها الأساسية من حيث نمط بناء الجسم وطبيعة الأنشطة الحيوية. فالجسم يتكون من مجموعة أجهزة متخصصة لكل واحدة منها وظيفة معينة وكل جهاز يتكون من مجموعة أعضاء والعضو من مجموعة أنسجة والنسيج من مجموعة خلايا متشابهة تقوم بنفس الوظيفة. والنشاطات الحيوية تأخذ نفس الصورة عند الإنسان والحيوان مع اختلاف في المظهر وبعض التفاصيل.

لعبت الخصائص الفيزيقية والسلوكية الدور الرئيسي في نشوء وتطور صرح الحضارة، وعند استعراض تلك الخصائص والسمات لابد أن نلاحظ أنها قد ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في تفرد الإنسان بالخاصية الحضارية فنذكر منها على سبيل المثال:

حجم المخ:

يصل حجم المخ عند الإنسان المعاصر إلى حوالي أو إلى نحو 1450 سم3 وهو حجم يتجاوز ما عاداه لدى الكائنات الأخرى، فالغوريلا مثلاً، أحد أكبر الرئيسيات حجماً يصل حجم المخ فيها 600 سم3، كذلك يلاحظ أن نسبة المخ البشري إلى الجسم متقاربة إذ ما قورنت بمثيلتها لدى الكائنات الأخرى إضافة لذلك فإن خلايا المخ البشري والطريقة التي تعمل بها تتجاوز في الإمكانيات مثيلاتها لدى الكائنات الأخرى.

انتصاب القامة:

تسقط القامة البشرية " العمود الفقري " بشكل عمودي خلافاً لما عليه الحال لدى الكائنات الأخرى التي يسير عمودها الفقري موازياً للأفق كما عند الفقريات والثدييات أو ساقط بشكل منحرف كما هو الحال لدى الرئيسيات، كذلك فإن انتصاب القامة أدى إلى تحرير الأطراف العليا " الأيدي " عند الإنسان من استغلالها للحركة أو التنقل كما ساعد على اتساع مدى الرؤية عند الإنسان.

قبضة الكف:

تتمتع الكف البشرية بأجزائها الثلاثة " الرسغ، المشط، الأصابع" بمقدرة هائلة على القبض والتناول والتحكم في المسك فعدد العظيمات المكونة للكفين وتركيبها والأربطة والعضلات الممكنة بها وكثرة المفاصل أدى إلى تمتعها بتلك الخاصية، كذلك فإن الإبهام البشري يتمتع بقدرة هائلة على الحركة حيث يستطيع الحركة في دائرة تبلغ تحو 360 درجةْ، كما أنه يستطيع أن يلامس الأصابع الأربعة بسهولة ويسر وهو أمر لا يتوفر لأي كائن آخر.

تركيبة الأوتار الصوتية:

يتمتع الإنسان بتركيبة خاصة في الأوتار الصوتية أدت إلى جانب حركة اللسان إلى تمكن الإنسان من إخراج أصوات وتنغمات كثيرة ومختلفة وهذه خاصة لا تتوفر لدى الكائنات الأخرى التي لا تتجاوز مقدرتها على إخراج تنغيمات الطور الفطري.

تركيبة القدم:

تتميز القدم البشرية بتركيبة خاصة مخالفة لما سواها إذ يلاحظ قصر أصابع القدم وطول الأمشاط كذلك يلاحظ وجود تجويف في وسط القدم للداخل بحيث يرتكز الوزن على مؤخرة القدم ومقدمتها بشكل يمتص وزن الجسم ويسمح للإنسان بالسير لمسافات طويلة.

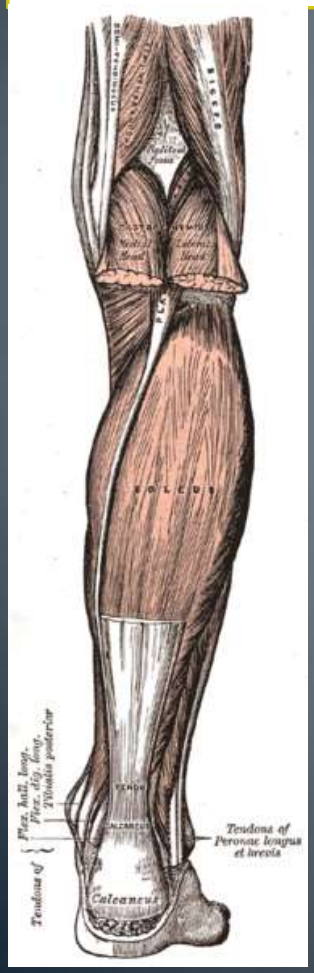

طول الأطراف السفلية:

يلاحظ أن الأطراف السفلي " الأرجل " لدى الإنسان تزيد طولاً مقارنة بأطرافها العليا "الأيدي" وهي سمة تنعكس تماماً لدى الرئيسيات مثلاً.

أماكن نمو الشعر:

تفتقر الرئيسيات لنمو الشعر على جسمها في الوقت الذي ينمو بكثافة على جسم الثدييات. بالنسبة للإنسان فإن الشعر ينمو بكثافة في مناطق دون الأخرى.

تساوى جهاز الأسنان:

يلاحظ أن الأنياب لدى الكائنات الأخرى تزيد طولاً عن بقية جهاز الأسنان مما اقتضى وجود فراغات لتسمح بقية الأسنان بالالتقاء عند الحاجة، يتساوى طول الأنياب مع بقية الأسنان عند الإنسان مما أدى إلى غياب تلك الفراغات. وتتعدد الخصائص الفيزيقية لدى الإنسان فيها ما هو ظاهر للعيان ومنها ما هو مستتر غير ظاهر.

السمات السلوكية:

كذلك يتميز الإنسان بسمات سلوكية تقف شاهداً على تفرده مقارنة بغيره نذكر منها:

1 - التخاطب:

أدى تمكن الإنسان من إخراج أصوات ونغمات مختلفة ومتباينة التي تمكن من صياغة عبارات وإطلاقها على مختلف الأشياء، أسماء وأفعال وضمائر أدت إلى تمكنه من تكوين لغة أصبحت سمة اتصال وتفاهم بينه وبين أبناء جنسه نقل من خلالها تجاربه وإحساسه ومعانيه.

2- توارث التجربة:

بما يتميز الإنسان بخاصية نقل معارفه وتجاربه وخبراته إلى المعاصرين من أبناء جنسه وإلى الأجيال اللاحقة له بحيث يبدأ الفرد أو الجماعة وحيث انتهى الآخرون خلافاً لما عليه الحال لدى الكائنات الأخرى التي تبدأ تجربتها من حيث بدأ أسلافها.

3 - العادات والتقاليد:

تميزت المجتمعات البشرية بعادات وتقاليد وأعراف وقوانين على امتداد مسيرتها الحضارية وأن اختلف زمان ومكان هذه العادات ونظمت حركة المجتمع وتفاعله وتطورت عبر الزمن وتلاحمه بين مجتمع وآخر.

4 - كبت الغرائز:

يتمتع الجنس البشري بمقدرة هائلة على كبت الغرائز والتحكم فيها والسيطرة عليهما الشيء الذي لا يتوفر لدى الكائنات الأخرى التي تلبي حاجاتها الغريزية في وقتها وقد قاد هذا السلوك إلى نقل الإنسان سلوكياً من حيز السلوك الحيواني إلى مجالات السلوك الحضاري.

5 - توزيع فرص العمل :

لم يكن بمقدور الإنسان أن يلبي كل متطلبات حياته بنفسه تلك المتطلبات التي تشمل ضروريات الحياة من مأكل ومشرب وملبس وأمن ... الخ، لذا قام بتوزيع فرص العمل "تلك المهام" بحيث أصبح لكل مجموعة دوراً تؤديه تفي من خلاله بحاجياتها وحاجيات غيرها في وقت يقوم الآخر بذات الشيء.

الفروقات الفيزيقية بين الانسان والكائنات الأخرى